عن قلة المحاسن بإحسان البيان وقال إن الجمال البصري يعم كل عيان ولكنه إذا لم يعرف ذلك الجمال إلا بنشر عنها كل عارف بها تأثرا ويستشرح الملاح المذكورات هذه الأبيات

أحساها وإن كان عن المعارف وأنفق عن ذاك الجميع كل عارف
تغيب عن تلك التدبر والهمم وحسن ملاح في الخباء عواكف
وإن شاهدت عيناي يوما خباءها وغال جمال المحسنين تشاغف
ما كشف عن إدراك جمال معارف فذاع مبحرات المعاني اللطائف
وما البصر من أسرار عن ما يبتغي لما موقفه كشف ولست بكاشف

ثم ختمت القصيدة بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولي

وبعد حمد الله أزكى صلاته على سيد الأحيا من الخلق والموتى

قال في الصحاح يقال ساد قومه يسودهم سوددا وسيدودة جمع وسودة قومه وهو أسود من فلان أي أجل منه وفي السيادة قال حسان رضي الله عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحي من الأنصار من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح فسمع حسان مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشأ يقول

وقال رسول الله والحق قوله لمن قال منا من تعدون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي نبخله فيها وإن كان أسودا
فقال وأي الداء أدوى من التي رميتم بها جدا وعلا بها فيما
وسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرو ذي الندى أن يسودا
إذا جاءه السؤال أذهب ماله وقال خذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي على مثلها عمرو لكنت المسودا

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعره وقال إن من الشعر لحكما وروي لحكمة وأشرت بقولي سيد الأحيا من الخلق والموتى إلى مذهب الحق وقول الجمهور في أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق مطلقا ومن جملة الأدلة على ذلك قوله عز وجل وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين والعالم جميع المخلوقات على القول الصحيح والمرحوم به أفضل من المرحوم وكذلك علو مقامه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء الذي علا به على جميع مقامات الرؤساء الكرام من الملائكة والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام وكذلك مقامه المحمود الذي يحمده الأولون والآخرون في القيامة وهو مجموع الخلق البدء في الشفاعة العظمى عنهم ثم أدب الدواهي العظام التي شيبت الولدان وأسكنت الأطم وقوله صلى الله عليه وسلم أنا لها وقيامه بها بعد دفعه أكابر الأنبياء لها ونفرهم منها بعد تأخرهم عنها وتوجهه إليها وتوجيهه فيها وغير ذلك مما يكثر عدده من الأدلة ويخرج الكتاب من حيز الاختصار إلى التطويل ولا حاجة بنا إلى ذكر ذلك وإلى ذكر التفصيل في التفاضل بين أنواع من الملائكة والأنبياء وبين جنس الملك والبشر والخلاف في ذلك معروف مقرر وإنما الغرض التنبيه على ما ذكر في البيت المذكور من كونه أفضل الصلاة والتسليم أفضل خلق الله أجمعين وإلى هذا المذكور أشرت أيضا في مدحه أقول

عليك صلاة الله يا مكمل الورى إذا أقبلت يوم الحساب جهنم
ومن أنت شفيع يستغاث بجاهه له تشرف العليا وجيه مكرم
وقالوا لأهل العزم في الرسل من لها فليس سواكم بأولي العزم يعزم
فعنهم خليل والكليم تأخر وعيسى وقبل القوم نوح وآدم
فقيل الكرام الرسل عنها تأخروا أتيت إليها ذا النوال المتقدم
أغثت جميع الخلق إذ كنت رحمة فغيث لكل العالمين ترحم

انظر أبياتا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University